ـ مساعدة ابناء الجاليات العربية على استمرار الصلة بين اجيالهم المتعاقبة وبين لغتهم وثقافتهم ·

ـ مساعدة ابناء الدول الاجنبية الذين يرغبون فى التواصل المباشر مع العرب عن طريق تعلم لغتهم .

ـ تعليم اللغة العربية فى الاقطار غير الناطقة بها .

ـ دعم اللغة العربية باعتبارها احدى لغات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ·

ـ مساعدة الاقطار الافريقية على استئناف صلتها باللغة والثقافة العربية وتوثيق هذه الصلة .

ـ المحافظة على استعمال الحرف العربى فى كتابة اللغات الافريقية والاسيوية ·

وفيما يتعلق بمسألة تطويع الحرف العربى للحاسب الالكترونى الذى كان المكتب قد اثار موضوعه فى عدة جلسات اللجنة الاستشارية كما انه قدم تقريرا مفصلا بشأنه جاء فى عروض السادة المسؤولين بالمنظمة تأكيد هذه الفكرة وضرورة تنفيذها وقد قامت المنظمة بعدة مساع لتحقيق هذه الغاية وهى مسألة بوليها المكتب اهمية قصوى نظرا لطبيعة عمله فى اعداد وافراغ وفهرسة مشاريعه المعجمية وسواها · تمثل ذلك فى محضر الجلسة الثامنة 7 / 7 / 1977 من هذه الدورة بمناشدة السيد المدير العام الى استكمال دراسة نمط موحد للتكييف بين الحرف العربى والحاسب الالكترونى تمكينا لمكتب تنسيق التعريب من ادخال الحاسب الالكترونى فى اعماله فى وقت قريب ·

هذا بالاضافة الى تأكيدات اخرى تتعلق باللغة العربية جاءت على لسان عدد كبير من المسؤولين فى المنظمة · وبذلك يتضح لنا وجه من وجوه الدور الكبير الذى تضطلع به المنظمة عن طريق اجهزتها المتعددة ومنها مكتب تنسيق التعريب فى العناية باللغة العربية وتراثها التليد وهو دور ينبثق من عمق ايمانها بهذا الهدف باعتباره احد مقوماتنا الحضارية والتاريخية ويتضح لنا بالتالى مدى جسامة الرسالة المنوطة بهذه المنظمة التى ما فتىء القائمون عليها يبذلون الجهود المضنية المتوالية من اجل تحقيق مراميها الشريفة وبلوغ اهدافها النبيلة .

الدراسات العربية في البلاد الإسلامية غير العربية ماضيها وحاضرها ومايرجى لها من مستقبل...

بقلم الدكتور السيد محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية بجامعة كراتشي (باكستان)

الفرق بين المجتمع الاسلامى العربى والمجتمع الاسلامى غير العربى والقاسم المشترك بينهما

« الى جانب الامم المتعربة ، اى التى اطرحت بالمرة لغاتها الاصلية واتخذت من اللغة العربية لغة المخاطبة فى جميع حاجاتها اليومية ، لحقت بركب الاسلام امم اخرى مستعربة ، اعنى التى خصت اللغة العربية بعنايتها الفائقة كلغة القرآن والدين والثقافة والآداب والعلوم ، فكانت هى اللغة الوحيدة التى تدرس فى مدارسها وكانت جميع مواد التدريس تحضر بها ، فاحتلت مكان الصدارة فى مقومات الثقافة ، ومع انها لم تصبح لغة المخاطبة فى الحاجات اليومية الا انها كسحت ميدان العلم والادب كسحا بحيث لم تبق للغات المحلية سوى زاوية البيت ومحلات الاسواق حتى اذا نشأت اللغات المحلية وترعرعت بفضل بعض العوامل الطبيعية على مر الزمن وزحفت الى البلاطات والدواوين الحكومية وتسللت خائفة مذعورة معتذرة الى الادب والشعر لم تأمل قط فى الاستقلال الذاتى بل قنعت بالدوران فى فلك العربية والاخذ والاستفادة منها بالاستمرار لان العوام كانوا يبجلونها فوق كل لغة والخواص لم يكن لهم غنى عنها فى كل ما يمت الى الدين والثقافة العامة العلمية والادبية بصلة — (اللسان العربى ، يناير 1969) .

فالفرق بين المجتمع الاسلامى العربى والمجتمع الاسلامى غير العربى كان من حيث الاصل منحصرا فى كون اللغة العربية لغة المخاطبات اليومية فى الاول وعدم كونها كذلك فى الثانى مع الابقاء على القاسم المشترك بينهما ، وهو قيام المجتمع على اساس الشريعة الاسلامية ، وهو بدوره يقتضى بصورة منطقية واقعية قيام نظام التعليم الموحد فى جوهره حول الدراسات الاسلامية ولغتها الوحيدة (لا اقول «الاولى» او « الاصلية » بل « الوحيدة ») اعنى اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث .

حجر الاساس للبيئة الاسلامية هو العمل بالشريعة الاسلامية :

لا توجد البيئة الاسلامية الا كنتيجة للعمل بالشريعة الاسلامية ، فاذا انتفى العمل بالشريعة الاسلامية لم يبق الا بعض القشور من العبادات والرسوم والمظاهر الخارجية وانتفت حاجة المسلم الى دراسة الشريعة الاسلامية وهذا هو السر فى ضعف وانحطاط وجمود الدراسات الاسلامية فى البلاد العربية وغير العربية وعدم الاهتمام باللغة العربية فى البلاد الاسلامية غير العربية فى العصر الحديث ، فما الداعى والباعث على الاهتمام بالدراسات الاسلامية والعربية مثلا ، اذا كان العمل بالقانون الوضعى الاجنبى فى معظم البلدان الاسلامية مع الاسف ! او لا نرى ان مناهج القانون فى معظم البلاد الاسلامية لا تحتوى الا على

قدر ضئيل من الشريعة الاسلامية وهو الذى يخص الاحوال الشخصية فقط ؟ أما دراسة الشريعة الاسلامية فى المعاهد الخاصة بها فهى دراسة علمية نظرية بحتة ، ومثل تلك الدراسة لا تبرز البيئة الاسلامية الى الوجود فى الخارج ، بل تشعر نفس الدارس بعدم وجودها فى الواقع .

لقد كثر الكلام عن تطويع السينما والتلفزيون والراديو لاغراض خلق البيئة الاسلامية ، وهو بمثابة وضع العربة امام الحصان ليس الا — فبأى حق او بأى منطق يريد المسلم ان يخضع الآلات والوسائل لاغراض الاسلام قبل أن يخضع نفسه — فكره وعمله — للشريعة الاسلامية ؟

تتبين هذه الحقائق من وضع اللغة العربية فى التعليم والثقافة الاسلامية فى البلدان الاسلامية غير العربية عبر العصور الى القرن التاسع عشر الميلادى :

ا) لقد حظيت اللغة العربية بالسيادة المطلقة فى برامج التعليم تبعا لمكانة الشريعة الاسلامية فى حياة الشعوب المسلمة من حيث العمل الذى يستلزم الرجوع الى الشريعة فى كافة المعاملات وتصرفات الحل والعقد والحرب والسلم .

ب) احتفظت اللغة العربية بسيادتها المطلقة دون ان تزاحمها اللغات المحلية ، فكان للغة العربية مكان الصدارة فى برامج التعليم والتربية فى البلاد الاسلامية غير العربية حتى بعد نشأة اللغات المحلية وآدابها ونقل بعض العلوم اليها لسهولة الكثرة الكاثرة من الجهال وانصاف المتعلمين ، لا لتمجيد اللغات المحلية واستغناء العلماء والمثقفين بها عن اللغة العربية ، فلم يكن للغات المحلية الا التبعية للغة العربية ، وكان الوضع يعتبر وضعا طبيعيا فى صالح اللغات المحلية نفسها .

ج) لم توجد ولم تفرض على المسلمين بالقوة لغة اجنبية ، اعنى الانجليزية والفرنسية وما يقوم مقامها فى خلق الازدواجية فى الفكر والسلوك فى السياسة والحكم والعوائد الاجتماعية .

الوضع الحاضر وما ينذر به من الشر المستطير فى المستقبل :

لقد جرت الامور هذا المجرى الطبيعى طوال القرون الى أن ابتلينا بالاحتلال الغربى فانقلبت الاوضاع راسا على عقب ، ولنكتف بالقول فى أهم النقاط التى كان لها تأثير قوى بعيد المدى فى مكانة اللغة العربية وهى كما يلى :

ا) استبدال القانون الوضعى بالشريعة الاسلامية

ب) ادخال نظام التعليم الاجنبى (الانجليزى / الفرنسى) وتوطيده بالطرق الاستعمارية ، وتكمن خطورته (أولا) فى العلمانية اى عدم كون الشريعة الاسلامية النواة للتعليم كله ، و (ثانيا) فى خلع اللغة العربية عن عرشها واغتصاب السيادة للغة الاجنبية فى التعليم وتغذية الفكر وتطوير اساليب الحياة وفى ادارة الحكم والاتصالات الدولية والشؤون الصناعية والتجارية .

ج) بذر بذور الوطنية والقومية الضيقة لتمزيق أوصال العالم الاسلامى ومزاحمة الشعور بالاخوة الاسلامية ، ومن مظاهرها البارزة الاعتزاز باللهجات الدارجة ضد العربية الفصحى فى البلاد العربية وباللغات المحلية ضد العربية (= لغة العرب) فى البلاد الاسلامية غير العربية . كما ان من تطرفاتها المنطقية الدعوة الى استبدال الحرف اللاتينى بالحرف العربى .

ومن الاغلوطات الشائعة ان الاستعمار فى البلاد الاسلامية غير العربية واد اللغات المحلية او نصب العداء لها بينما الحقيقة ان الاستعمار هو الذى نشر فكرة « لغة الام » وتولى رعاية اللغات المحلية بل تملقها وشجعها لتزاحم اللغة العربية (والفارسية أيضا) كما انه هو الذى حاول تمجيد اللهجات الدارجة واحياء البربرية وما اليها للقضاء على العربية الفصحى فى البلاد العربية وكانت النتيجة ان الاردية مثلا تشجعت فى عهد الانجليز حتى احتلت مكان العربية فى الحياة الثقافية بينما هى لم تقو على ان تزحزح الانجليزية من مكانها للآن ويصدق هذا القول على اللغات المحلية فى البلدان الاسلامية الاعجمية الاخرى .

وبما انه ليس من السياسة العملية التخلى عن الدين تماما بالنسبة لعامة الشعب المسلم فى اى بلد كان، عربى او غير عربى ، كان التحول الخطير السالف الذكر سببا للاهتمام بتراجم القرآن بدل الاهتمام بالقرآن العربى وهلم جرا الى ان فوجئنا بدعوة صريحة وقحة الى الاذان والصلوة باللغات المحلية !!

واخطر منها بكثير ما حدث منذ الاستقلال اعنى الاستغناء عن العربية فى تعليم الدين ووضع مادة

جديدة باسم « الاسلاميات » و « المعارف الاسلامية » وزرعها كمادة غريبة فى برامج التعليم العصرية فى المدارس والكليات التابعة للحكومة ، وهذه المادة عبارة عن تراجم باللغة المحلية او الانجليزية — ربما كانت ناقصة وغير معتمدة — لبعض سور القرآن والاحاديث النبوية ومقارنة بعض المذاهب الفكرية والاقتصادية العصرية بالاسلام (بدون دراسة الاسلام دراسة اصيلة كافية) مقارنة غير سليمة وغير نزيهة فى بعض الاحوال بحيث يشعر النشء بالنقص فى الدين وافتقاره الى ما يكمله او يطوره من الخارج .

ولنسرد الآن بعض الاحداث شبه السياسية التى تتراءى كمعالم الصوى فى طريق انحراف التعليم والثقافة عن الاصالة العربية فى البلدان الاسلامية غير العربية .

اولا : تركيا — وكان لها قصب السبق فى استبدال الخط اللاتينى بالخط العربى ومنع الاذان باللغة العربية وقطع علاقة اللغة التركية باللغة العربية الى حد ابعاد الكلمات العربية والاقلال منها بقدر المستطاع فى اللغة التركية والاعراض عن دراسة اللغة العربية بوجه خاص حتى كلغة اجنبية (لانها لن تكون اجنبية أبدا) — ومهما قيل عن تحسن الاوضاع وظهور اتجاهات جديدة فى الآونة الاخيرة فان الحقيقة لا تزال تحز فى النفس ان العربية مبعدة خارجة عن برامج التعليم القومية والثقافة العامة للشعب التركى المؤمن الباسل .

ثانيا : ايران — غمرت ايران ايضا موجة « فارسى سره » (الفارسية المحضة) برهة من الزمن ، ولكن سرعان ما اصطدمت بصخرة الواقع الذى ابى ان يخضع للاهواء المتطرفة فانحسرت مياه « فارسى سره » والحق يقال ان العلماء والادباء فى ايران ثابوا الى الرشد واعترفوا باهمية العنصر العربى فى قوام اللغة الفارسية ، ولذلك نرى ان الوضع فى ايران احسن بكثير مما هو فى البلاد الاسلامية الاعجمية الاخرى بدليل ان دراسة العربية اجبارية بالنسبة لطلاب الآداب فيها الى اعلى الدرجات العلمية .

ثالثا : باكستان — الدولة الفتية التى تاسست على الاسلام والاخوة الاسلامية ، الا انها سرعان ما اصيبت بالعقم من الناحية الثقافية واصبحت فريسة للقومية الوطنية المتسترة المتنقبة بالاسلام ، وظهرت آثار هذا الداء العضال فى التحمس للغة الاردية كلغة اسلامية ، وربما خيل الينا ان هذا التحمس كان بدافع من النزعة الاسلامية وموجهاً ضد الانجليزية المنيخة بكلكلها على جميع ميادين النشاط العلمى والادارى ، لكن الحقيقة ان المتحمسين للغة الاردية كانوا موالين صادقين للغة الانجليزية حيث لم يفتروا يؤكدون عدم المساس بوضع الانجليزية كلغة ثانية محترمة اجبارية ، انما لاذوا بالصمت الماكر وحدجوا منافذهم فى الظلام ليمنعوا اللغة العربية من ان تتبوا المكانة اللائقة بها كلغة اولى فى برامج التعليم الحكومية ، لانهم شعروا فى قرارة انفسهم ان اللغة العربية لقداستها وغزارة مادتها وسهولة تصريفاتها واستجابتها الطويلة للحاجات العلمية هى المنافسة التى لن يسع الأردوية غير تبعيتها كلما وجدت وحيثما وجدت — اضف الى ذلك ان المتحمسين للأردوية كانوا من الذين تثقفوا ثقافة انجليزية وجهلوا العربية جهلا مزريا ، وقديما كان الناس اعداء ما جهلوا — فالغرض ان التحمس للأردوية كلغة اسلامية (ضد العربية) انما ينطوى على الكياسة البراقة الخالدة ، وانكشفت اللعبة وافتضحت النوايا حينما نادى المرحوم آغاخان الثالث بتعميم اللغة العربية وجعلها اللغة الاولى فى باكستان ، ولم يلق آغاخان القول جزافا بل دعمه بحجج وبراهين وكأنه بثاقب نظره تنبأ بالكوارث التى حلت بباكستان فعلا فى صورة عدم الاخذ برايه — « قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه » — نعم (ثار المتحمسون للأردية ضد آغاخان وبقيت الانجليزية متفرجة على انتصار الأردوية الاسلامية (حسب دعاوى القوم وغلوائهم)على العربية — ثم ما لبثت ان باضت وفرخت هذه الوطنية فمنيت الاردوية بمثل ما منى به العرب عقب ثورتهم ضد الاتراك فنشب الصراع بين الاردوية من جهة وبين اللغات المحلية مثل البنغالية والسندية من جهة اخرى وسالت الدماء فى الشوارع والطرقات وانتهت المعارك باقامة نصب تذكارية لشهداء البنغالية والاردوية هنا وهناك — « الشهداء » الذين قاتلوا وقتلوا مضللين مدفوعين بحميّة الجاهلية والنصب التى لا يزال الغواة يزورونها على الطريقة الوثنية بتقديم الازهار والرياحين فى مناسبات — كل هذا والعلماء ورثة الانبياء ساكتون صامتون واذا سئلوا جمجموا ولم يصرحوا والاسلاميون السياسيون حذرون وجلون من معاكسة التيار الجارف وقتئذ — وهل يرجى بعد ذلك غير ان تبقى العربية مهملة منسية مغمورة لا تجد لها ناصرا ولا شهيدا — ولا يخفى ان الوضع لم يتغير جوهريا بعد مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور وادخال مادة فى دستور باكستان

بشأن واجب الحكومة نحو تعميم اللغة العربية فان العربية لا تزال عرضة للاهمال فى المدارس والكليات والجامعات الحكومية كما كانت من قبل .

رابعا : بنغلاديش — لقد المعنا آنفا الى حمّى التعصب للبنغالية ، وقد كان هذا التعصب موجها فى المرتبة الاولى الى الأردوية بعد ما اعتبرت رمزا لسيادة أهل الجناح الغربى من باكستان بما فيهم المسلمون المهاجرون من الهند ، الا أن العربية وقعت بين شقّي الرحى فلم يسمع لها ذكر البتة — انما ذكرت العربية من خلال الدعوة الى استبدال الخط العربى بالخط الهندى السائد فى كتابة البنغالية ومع الاسف الشديد لم تلق الدعوة قبولا ونجاحا وكأن الخط العربى فقد الاحترام اللائق به لا لشىء الا لكونه الخط المستعمل لكتابة الاردوية — ولا يخفى ان قضية « البنغالية ضد الاردوية » كانت بداية لحركة سياسية انتهت بتدخل الهند وحليفتها روسيا لفصل الجناح الشرقى من باكستان — والآن وقد تم استقلال بنغلاديش (من باكستان بدون شك) لم يبق فى الميدان الا البنغالية والانجليزية ، لا ادرى لأيهما السيادة فى التعليم والثقافة ، انما يعنينا ان العربية لا تزال مطوية الذكر وكذلك الخط العربى فان البنغالية لا تزال تكتب بالخط الهندى .

خامسا : جنوب شرقى آسيا بما فيها اندونيسيا وماليزيا — طالما كانت هذه البلاد مجالا لنشاطات عربية قوية حتى كثر الناطقون بالضاد بها وتأثرت آداب اللغتين الاندونيسية والماليزية بالعربية وكتبت اللغتان بالخط العربى الى ان طلع فجر عصر الجمهورية والديموقراطية التى استلزمت بشأن الاكثرية المسلمة ان تتنازل عن مقومات ثقافتها استرضاء للاقلية غير المسلمة فكانت النتيجة أن سبقت اندونيسيا وتبعتها ماليزيا لاستبدال الخط اللاتينى بالخط العربى والتفخيم من شأن اللغة المحلية الى حد مزاحمتها للغة العربية فى حقل التعليم والثقافة — والظاهرة الجديدة التى ملأت قلبى حسرة ويأسا أن هناك مدارس عربية قوية نالت الاعجاب والاعتراف من الجامع الازهر، تدرس بها جميع المواد الاسلامية باللغة العربية ، ولكن كلما شملتها الحكومة بالرعاية والاصلاح حسب خطة مرسومة لجعل التعليم الدينى اكثر ملاءمة واستجابة لروح العصر ، كما يقولون، ضعفت العربية من ناحيتين :

الاولى : توسعت العلوم العصرية على حساب المواد الاسلامية — والثانية ، وهى اخطر بكثير ، زاحمت اللغة المحلية اللغة العربية حتى فى قطاع تدريس المواد الاسلامية ، ويتجلى هذا الوضع فى الجامعات الحديثة حيث توجد اقسام بل كليات مستقلة للمعارف الاسلامية الا أن الاتجاه السائد فيها هو التزيد المستمر من استخدام اللغة المحلية وحصر العربية فى المتون القليلة فقط .

والعقبة الكأداء فى سبيل احلال العربية محلها فى التعليم والثقافة الاسلامية هى الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية عصرية اعدها المستعمر لتخلفه فى الحكم والادارة — انتهزت هذه الطبقة الفرصة التى سنحت بعد استقلال البلاد الاسلامية غير العربية فاستغلت سلطتها ونفوذها لاعتلاء المنابر والتكلم عن الاسلام كلاما ملفقا من هنا وهناك ، ولم تستنكف هذه الفئة المتكبرة عن الاجتراء على الاسلام مع عدم المامها بحرف واحد من العربية ، فكم تجدون محاميا درس كل قانون من رومى وانجليزى وفرنسى وسويسرى غير اللغة العربية والقرآن والسنة، ثم هو يتشدق فى الاجتماعات المحلية والمحافل الدولية بالفقه والقانون الاسلامى ، كذلك ترون مؤرخا درس تاريخ العالم غير التاريخ الاسلامى الذى يفيض فيه من المصادر الثانوية بحيث لا يحسن النطق بأسماء الاعلام العربية — فأمثال هؤلاء من الطبقة المثقفة ثقافة اجنبية فى البلاد الاسلامية غير العربية هم الذين يرجعون الى الترجمة الانجليزية للقرآن ويتساطون عن التراجم الانجليزية للحديث ويتسقطون على مدونات القانون الاسلامى باللغات الاجنبية ويستقون معلوماتهم عن الاسلام من منابع الكتب الانجليزية والفرنسية وما اليها ومعظمها من نتاج الفكر الغربى الاستشراقى الذى ثبت عداؤه للاسلام من دون شك .

وهذه الطبقة هى التى تدعى الاستغناء عن العربية وتزدرى وتستهزىء بالذين درسوا الاسلام من مصادره العربية الاصيلة وتسعى جاهدة للفصل بين العربية ومناهج دراسة الاسلام ، اذا كان لا بد منها ، فى الكليات والجامعات — وفى هذا كله تجريح صارخ لحرمة الدين واعتداء على الاقدار العلمية ، وقد بلغ الحال ، ولا سيما فى باكستان والهند الى ان الذين يجهلون العربية تماما لا يرون بأسا من الاقدام على ترجمة القرآن وتفسيره ، بحيث اصبح لزاما على رجال العلم أن يعملوا ما فى وسعهم لحماية الكتاب « من عبث المترجمين وخطأ الشراح وعدوان المقتبسين » .

والطبقة المثقفة ثقافة اجنبية هـي التـي تبعث الشبان غير الناضجين من المسلمين الى جامعات أوربا وامريكا لتلقى علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ الاسلامى من اليهود والمسيحيين المبشرين السافريـن والمستشارين لوزارات الخارجية وقلم المخابرات التابعة لحكوماتهم فى كثير من الاحيان ، وحتى فيما يتعلق بالادب العربى فان الطلبة فى البلاد الاسلاميـة غير العربيـة يجبرون فى الجامعات الاوربية والامريكية على تعلـم الالمانية والفرنسية لنيل الشهادات العالية فى الآداب العربية بينما تبقى العربية نسيا منسيا ، ولا غرو أن تكون أضعف عند رجوع الطالب الى وطنه مما كانت عليه من قبل .

ويتضاعف الجدل ويتفاقم الشر اذا جلس تلاميذ المستشرقين هؤلاء للتدريس فصـاروا أبـواقا للآراء المنحرفة مع ضعفهم المزمـن فى العربيـة والمصـادر الاسلامية الاصيلة — وقد كان الدكتور محمد اقبـال نصح الشبان المسلمين من زمان بأن لا يفتتنوا بالتتلمذ على المستشرقين فى المواد المتعلقة بالاسلام ، بل يرجعوا الى الشيوخ العلماء المسندين من المسلمين المخلصين لله والدين فى مصر وفى غيرهـا من البـلاد العربيـة والاسلاميـة .

فى جميع البلدان الاسلامية غير العربية تقريبـا يوجد منهجان متمايزان لدراسة اللغة العربية : احدهما المنهج السائد فى المدارس القديمة ، ويلاحظ ان اللغـة العربية تدرس فى هذه المدارس مقرونة دائما بالعلوم الاسلامية من التفسير والحديث والفقه ، وربما نتـج من هذا التلازم أن لم تكن آداب اللغة العربية مقصودة لذاتها ، بل اصبحت اللغة العربية مجرد اداة لتحصيل العلوم الاسلامية ، ولذلك المقررات من الادب لا تعدوا بعض الكتب التى لم تتزحزح عن مكانها عبر القـرون والاجيال أمثال « مقامات الحريرى » و « حماسة ابى تمام » و « السبع المعلقات » والاهتمام كله منصب على تلقين قواعد النحو والصرف بأمثلة فى قوالب متحجرة جامدة تدور بين زيد وعمرو مع عدم التوسع فى المطالعة وقلة التمرين — وتأتى النتيجة على حسب المنهج فان الطالب يحذق تمييز الاوضاع الصرفية والنحوية للكلمات ويحفظ مجموعة من مفردات اللغة — تلك المفردات التى تعينه فى فهم النصوص القرآنية والحديثية ، أما ما عدا ذلك من معرفة أساليب العرب المتنوعة ونشأة الذوق الادبى وملكة نقد الشعر والنثر والمهـارة فى الانشاء والخطابة والكلام العادى فى مناسبات يومية فكل ذلك بعيد المنال بالنسبة للطالب الذى لم يثر همته الادب كادب قـط .

وقد دعت جماعة من العلماء فى القرن الماضى الى اصلاح هذا الجانب من مناهج المدارس القديمة ، ومثل هذا الاصلاح كان الغرض الاصلى من انشاء داراً لعلوم ندوة العلماء بلكنو (الهند) فتحققت النتائج المطلوبـة فى مجال الانشاء والصحافة والخطابة الا أن البحث الادبى العلمى لا يزال بحاجة الى المزيد من العناية ، يصدق هذا على بعض المدارس التى إهتمت بالاصلاح المماثل فى باكستان مثل المدرسة الاسلامية العربيـة بنيوتاون — كراتشى — حيث يبذل مديرها ، الشيخ محمد يوسف البنورى ، مساعى خاصة فى هذا السبيل .

ومن الجدير بالملاحظة ان التكلم بالعربية ميسور لكثير من متعلمى اللغة العربية فى جنوب شرقى آسيا ، وربما كان مرجع ذلك الى وجود الجاليات العربية بين ظهرانيهم ومواصلة العلاقات المتينة المستديمة بينهـم وبين الازهر ولكن يندر فيهم من يضطلع بالادب علـى عكس ما نعرفه عن بعض اهل الهند وباكستان الذين نبغوا فى خدمة الآداب العربية مع ضعف المستوى العام لاستخدام اللغة العربية فى المناسبات اليومية .

والثانى هو المنهج السائد فى الكليات والجامعات الحديثة على الطراز الغربى ، ويختص هـذا المنهـج بدراسة الآداب لذاتها من غير أن تكون قرينة للدراسات الدينية الاسلامية ، فان الاخيرة منتفية منبوذة لم يسمح لها بالدخول فى الجامعات الحديثة الا فى الآونة الاخيرة ، ولما اقتحمتها قبيل الاستقلال أو بعيده كان التيار القومى على أشده مما جعل الدراسات الاسلامية فى كنف اللغات القومية المحلية تحت وصاية الانجليزية فى بعض الاحيان بـدلا من العربية التى جهلها المتسلطون علـى ادارة التعليم كما مر — فالغرض ان الآداب العربية تدرس لذاتها فى الكليات والجامعات الحديثة ضمـن برامـج تدريس اللغات وآدابها مستقلة عن العلـوم الدينيـة المدونة فيها — والواقع ان اللغات الكلاسيكية ، وعلى راسها العربية ، كانت تتمتع بمكانة مرموقة فى برامج التعليم الحديثة أيام الانجليز اسوة باليونانية واللاتينية فى أوروبا وانجلترا ، وحتى الفارسية لم يكن لها وضع مستقل عن العربية — أما اللغات المحلية فى البـلاد الاسلامية غير العربية فانما كانت تعتبر فروعا ناعمة

نامية للعربية والفارسية ، وذلك هو الوضع الطبيعي التاريخي الذي تقره الروح العلمية المحضة أيضا ، ولكن حدث بعد الاستقلال أن تيار القومية الهوجاء جرف بالمكانة المرموقة للغة العربية حتى تركها كالمعلقة، لا هي اجبارية (وقد كانت دراسة احدى اللغات الكلاسيكية — العربية والفارسية والسنسكريتية — اجبارية الى حد الشهادة الجامعية — B.A. أيام الانجليز) ولا أحد يختارها باختياره وفي الوقت نفسه قفزت اللغات المحلية (« القومية » كما تلقب في الغرب تفخيما وتمجيدا) الى القمة حتى أصبحت اجبارية وادعت الاستغناء عن العربية خاصة بينما رضيت بالتعايش مع الانجليزية كلغة اجبارية أخرى — وانتهى الامر بما لم يكن في الحسبان ، أعني الاستغناء عن العربية في مجالات لا غنى عن العربية فيها ، الا وهي العلوم الدينية والتاريخ الاسلامي والفلسفة الاسلامية .

على كل حال بقيت أقسام اللغة العربية في الكليات والجامعات الحديثة منذ الاستقلال تتلمس الطرق لتأدية وظيفتها ، وكان الجو العلمي في الكليات والجامعات الحديثة مساعدا لتغيير مقررات الدراسة حسب التوسع في احياء ونشر التراث العربي القديم وادخال المواد الجديدة مثل تاريخ الآداب ومقاييس النقد الادبي والادب الاندلسي والادب الحديث — كل هذا بخلاف الجمود والقصر على كتب بعينها في المدارس القديمة — وكانت النتيجة ان المتخرجين من الجامعات توسعوا في دراسة الآداب بأصنافها المختلفة مع ربطها بالتغييرات الاجتماعية والتيارات الادبية في اطار التاريخ العام وحصلوا على قدر من الذوق الادبي مع الاخذ بمناهج البحث والتحقيق العصرية ، الا انهم بقوا على العموم ضعافا في استخدام اللغة في الكتابة والمكالمة ، وربما لم يتقنوا تطبيق قواعد الصرف والنحو في القراءة — وقد لوحظ ان معظم البحوث والاطروحات المقدمة الى الجامعات لنيل الشهادات العليا في الآداب العربية كانت مكتوبة باللغة الانجليزية على العادة المتبعة في الجامعات الغربية ، لم يتغير هذا الوضع الا في الآونة الاخيرة حيث قدمت البحوث والاطروحات الى بعض الجامعات الهندية والباكستانية باللغة العربية ، على سبيل المثال كتاب « الترك في مؤلفات الجاحظ » الذي صدر من دار الثقافة ببيروت وهو يمثل اطروحة قبلت لمنح الدكتوراه من القسم العربي بجامعة كراتشي .

المقترحات

وعلى ضوء ما قلناه آنفا عن الوضع التاريخي والواقع الملموس حاليا نخلص الى المقترحات الآتية :

المقترح (1)

من حيث ان اللغة العربية تحتل المكانة الاولى من بين المقومات الاساسية للدين والثقافة الاسلامية يجب على الحكومات في البلاد الاسلامية غير العربية أن تتبادر الى اتخاذ ما يلزم لجعل اللغة العربية اللسان الاولى بالنسبة للمسلمين عملا بقول الامام الشافعي : ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم اللغة العربية أن يتعلمها لانها اللسان الاولى (رواه السلفي باسناده) — و « اللسان الاولى » لا تعني اللغة الرسمية في الادارة ولا لغة المخاطبات اليومية ، انما تعني أن تكون العربية هي المتفوقة على اللغة المحلية (القومية) واللغة الاجنبية (الانجليزية) وما اليها في التعليم والثقافة العامة بحيث لا يعتبر مثقفا ثقافة أصيلة متكاملة من لم يتعلم اللغة العربية باتقان .

المقترح (2)

ويتبع هذا الوضع أن تلتزم وتحتفظ جميع اللغات المحلية بالخط العربي وتتراجع الحكومات والقيادات المتوددة الى الغرب القهقرى الى الخط العربي بعد ما تبين لها خطأ استبدال الخط اللاتيني به وفداحة الخسارة الدينية والثقافية المترتبة على ذلك — كذلك يجب الاسراع الى نبذ الخط غير العربي بشأن بعض اللغات مثل البنغالية وعدم التلكؤ في اتخاذ الخط العربي لها بعد ما زالت الاعتبارات السياسية التي سببت التثبت والاعتزاز بالخط غير العربي في الماضي القريب .

وهاتان الخطوتان ، أعني (1) جعل الاولوية للعربية في التعليم و (2) توحيد الخط العربي بالنسبة لجميع اللغات المحلية في البلاد الاسلامية غير العربية سيكون لهما فعاليتهما وتأثيرهما في توجيه نشأة اللغات المحلية وجهة العربية وصبغها الصبغة الاسلامية ، فان الوضع الذي سينجم عن اتخاذ الخطوتين هو أن يكون كل متعلم مثقف ، كاتب أو شاعر ، ذا لسانين — اللسان العربي واللغة المحلية — والتقاؤهما في ثقافة موحدة سيفجر مرة اخرى تلك العيون التي

طالما نبعت من العربية ورفدت اللغات المحلية بالكلمات والتراكيب والمصطلحات الفنية وقوالب التعبير والكنايات والتلميحات والاستعارات والافكار والاحاسيس ومبانى الشعر والنثر ، انما نضبت تلك العيون منذ أن تحول المثقفون من العربية الى الانجليزية أو ما اشبهها من اللغات الاوروبية .

لو تصفحنا قليلا الفارسية والتركية والاردوية لوجدناها تتسم بملامح بارزة للاستعراب ، منها

1) عدد كبير — بنسبة ستين فى ٪ واكثر فى بعض الاحوال — من المفردات — الاسماء والصفات والافعال ومشتقاتها — المنقولة من العربية الى اللغات المحلية .

2) كذلك الالفاظ الدينية والمصطلحات العلمية والتعبيرات العلمية الدقيقة والادبية اللطيفة المنقولة بالحرف او المأخوذة بالمعنى عن العربية .

3) ثم النسج على منوال الآداب العربية فى انشاء الآداب المحلية ، خذ مثلا الشعر بأوزانه وبحوره واقسامه من القصيدة والغزل — انما تسنى مثل هذا الاتصال بين اللغات المحلية والعربية لان الكتّاب باللغات المحلية كانوا تعلموا اللغة العربية بالدرجة الاولى فاقتبسوا منها ما يلقحون به اللغات المحلية ويطورونها لخدمة الاغراض الدينية والثقافية الاسلامية ويصدق هذا قليلا او كثيرا على جميع اللغات المحلية المتداولة بين المسلمين فى مختلف البقاع ، لا فرق من حيث جوهر القضية ، انما الفرق فى المقدار فقط .

انما اكّدت هاتين الخطوتين لكونهما لا بد منهما لاسترداد المكانة اللائقة باللغة العربية فى برامج التعليم القومية فى البلاد الاسلامية غير العربية وهما تمهدان السبيل للمقترح الثالث ، وهو :

المقترح (3)

الاستنكار الشديد للاتجاه السائد فى البلدان الاسلامية غير العربية الى الاستغناء عن العربية وتدريس المواد الدينية الاسلامية باللغات المحلية او الاجنبية مثل الانجليزية — يستوجب هذا الاتجاه الاستنكار الشديد لكونه مخالفا للغرض الدينى ومناقضا للاقدار العلمية البحتة — اذن يتحتم على جميع الجهات المعنية بالامر أن تتبادر الى تصحيح الاوضاع حتى يعم تدريس المواد الاسلامية كلها بالنصوص العربية لا غير ، يستثنى من هذا الاصل المرحلتان الابتدائية والثانوية اللتان يلقن فيهما الطالب تعاليم الدين المبسطة باللغة التى نشأ على تداولها وفهمها بينما يجرى اعداده لدراسة وفهم النصوص العربية فى مرحلة التعليم العالى .

والمواد الاسلامية هى بالتفصيل : القرآن والحديث والتفسير ومصطلح الحديث والفقه والاصول — هذه هى المواد الدينية الاصيلة التى لا ينبغى ولا يتأتى تدريسها الا عن النصوص العربية فقط .

وهناك بعض المواد فى المرتبة الثانية ينبغى لطالبها كذلك أن يكون على استعداد للرجوع الى المصادر العربية الاصيلة وان لم يدرس المادة عن النصوص العربية تماما ، مثل التاريخ الاسلامى والفلسفة الاسلامية اذا درسهما الطالب (من غير تخصص فيهما) كجزء من تاريخ العالم والفلسفة العامة .

فاذا تبوأت العربية المكان اللائق بها وحظيت بالاحترام والتقدير بالنسبة الى اللغات المحلية والانجليزية وما اليها — تلك اللغات التى لم تزل منذ عهد الاستعمار ولا تزال حتى بعد الاستقلال السياسى تنازعها وتناوئها وتزحزحها عن مكانها فى برامج التعليم القومية — نعم ! اذ ذاك يجب اتخاذ التدابير لسد النقص فى الاوضاع الحالية :

فأولا : فئة المتخرجين من المدارس الاهلية الدينية العربية وهم الذين افنوا اعواما طوالا فى دراسة اللغة العربية بالطريقة القديمة المعروفة بـ « طريقة القواعد والترجمة » وهى الطريقة التى كانت متبعة فى تدريس اللغات الاجنبية — ولا سيما الكلاسيكية القديمة — فى اوربا ايضا الى وقت قريب ، يتقن الطالب بموجب هذه الطريقة الصرف والنحو ويحصل له المقدرة على فهم النصوص ، انما ينقص هذه الفئة :

ا) التمكن من استخدام اللغة فى الكتابة والانشاء وفى الخطابة ، ولا سيما المكالمات اليومية .

ب) التوسع فى الاطلاع على الآداب القديمة .

ج) الآداب الحديثة مهملة عندهم تماما ، وربما لا يقفون على شىء منها .

د) تاريخ الآداب والاطار العام من الاحوال السياسية والاجتماعية التى اثرت فى نشأة الآداب ووجهتها وجهتها الخاصة .

هـ) النقد الادبى — اصوله ومناهجه .

وبما أن السبب الرئيسى فى وجود هذا النقص —